**الفكر الجزائري المعاصر ــ الفضيل الورتلاني نموذجا ــ**

في الحقيقة لن ينسى المنصفون من الناس دور جمعية المسلمين الجزائريين، سواء في داخل الجزائر أو خارجها، فقد كان لمكتبها في القاهرة وفيه أمثال محمد البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني دور فاعل مؤثر في تهيئة الرأي العام العربي والإسلامي للوقوف إلى جانب الجزائر في محنتها، ولقد استطاعا أن يكسبا تأييد الشعوب العربية والإسلامية، حيث صارت قضية الجزائر المحور الأساسي للخطب والمحاضرات والندوات والمؤتمرات. وأقبل الناس يجودون بأموالهم بسخاء منقطع النظير، لمساعدة الشعب الجزائري في جهاده، وقامت المظاهرات الكبرى في أنحاء العالم العربي والإسلامي، كلها تؤيد وتؤازر شعب الجزائر المسلم في تصديه للطغيان الفرنسي.

**أولا: من هو الفضيل الورتلاني ؟**

ولد الفضيل الورتلاني يوم 06-02-1900م في بلدة (بني ورتلان) ولاية سطيف، تلقى علومه على يد والده وعلماء أجلاء. في 1930 التحق بقسنطينة لإتمام تعليمه في مدرسة المصلح الكبير الشيخ عبدالحميد بن باديس. من 1933 إلى 1934 كلف بالتدريس أستاذا مساعدا للشيخ ابن باديس. في 1936 انتدب ممثلا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بفرنسا. في 1940 سافر إلى مصر والتحق بالجامع الأزهر للحصول على الشهادة العالمية بكلية أصول الدين. في 1949 أسس مكتبا بالقاهرة لجمعية العلماء المسلمين لينطلق منه صوت الجزائر إلى الدول العربية الشقيقة. كتب في أغلب الصحف والمجلات العربية يشرح فيها قضية الجزائر العادلة. اتصل بالعديد من الملوك والرؤساء والأحرار في العالم من أجل الجزائر. أسس العديد من اللجان والجمعيات في المشرق للدفاع عن الجزائر. ساهم بقلمه ولسانه في الثورة التحريرية منذ 1954 . توفي في أنقرة بتركيا يوم 12 مارس 1959 بعيدا عن الوطن. نقل رفاته إلى مسقط رأسه يوم 12 مارس 1987 ودفن فيه.

**ثانيا: مؤلفات الفضيل الورتلاني**

يعتبر كتابه " الجزائر الثائرة " ثمرة جهاد وخلاصة عمل جبار، وهو عبارة عن مجموعة من الوثائق التاريخية الهامة والنادرة التي نحتاجها اليوم في هذه المرحلة لتدوين تاريخنا ونفض الغبار عن الكثير من المواقف والمعلومات المتعلقة بثورة الجزائر.

**ثالثا: نشاطه الإصلاحي**

يعتبر الفضيل الورتلاني من أبرز علماء الجزائر الذين كان له دور مهم وفاعل في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 ، حيث كان من أقرب الشخصيات للإمام عبد الحميد بن باديس و الامام البشير الإبراهيمي، وساهم مساهمة فعالة في التمكين لمبادئ الجمعية في الجزائر ثم في فرنسا في صفوف العمال الجزائريين هناك .وفي مصر قد لعب دورا كبيرا في تهيئة الشعوب العربية والإسلامية لمؤازرة الشعب الجزائري في جهاده ضد الاحتلال الفرنسي.

**1. هجرته إلى أوروبا في إطار الحركة الإصلاحية:** في سنة 1936 انتدبته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للقيام بنشر مبادئها والدعوة الإصلاحية بفرنسا وذلك قصد توعية العمال الجزائريين المغتربين بأوروبا. وبرغم ما كانت عليه الحياة في فرنسا من سحر وجمال، ومن مفاتن الدنيا ومغرياتها، إلا أن الأستاذ الفضيل الورتلاني لم:« يجعل نصب عينيه سوى رسالته، ولم يكن يشغله أبناء وطنه الذين أمسوا كالأيتام في مأدبة اللئام، فلم يفكر في جولة أو راحة أو استجمام، بل عزم على انقاذهم والنهوض بهم إلى المستوى اللائق، مهما واجهه في ذلك من متاعب ومشاق، وما هي إلا أشهر قليلة حتى جمع كلمة العمال الجزائريين وأخذ يعلمهم الإسلام الصحيح، ويرشدهم إلى الطريق الأمينة، وقام بحركة أدبية دينية تهذيبية كان لها أثرها العميق في نفوس أبناء الجزائر»

ولعل أحسن وصف لهذه النهضة التي قام بها الورتلاني في فرنسا، ما نشره أحد الجزائريين في إحدى الصحف المشرقية آنذاك، حيث قال:« ولقد كان للورتلاني أعظم جهاد في هذه البلاد الأوروبية، وفي العاصمة الفرنسية بالذات، حتى أنك لتشعر في أيامه وأنت بباريس، كأنك في إحدى عواصم الشرق، من حيث الجو الإسلامي والعربي، ففي باريس وحدها تم فتح خمسة عشر ناديا، يتردد على كل منها بضع مئات من أبناء المسلمين، يتلقون الدروس، ويسمعون المحاضرات، ويؤدون فروض العبادات، ويحيون تعاليم الإسلام، وفضائل العروبة، ويكافحون الاستعمار، وكانت هذه الأندية مثابة لكل شرقي ينزل في هذه البلاد». في أواخر سنة 1940 أصبح الفضيل الورتلاني على يقين من أن السلطات الاستعمارية الفرنسية صممت على جعل حد لنشاطه السياسي، بعد أن دأبت على تعقب تحركاته تمهيدا لإلقاء القبض عليه، لذلك عقد العزم على السفر إلى مصر.

**2. استئناف نشاطه السياسي بمصر**: كانت وجهته سنة 1940 إلى القاهرة حيث آثر الانتساب إلى الأزهر فحصل على شهادته العالمية في كلية أصول الدين والشريعة الإسلامية مواصلاً جهاده القومي الوطني، للتعريض بالاستعمار الفرنسي في الجزائر وخدمة القضية الجزائرية ، وقضايا المسلمين عموماً ، فأسس سنة 1942م اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر، كما أسس سنة 1944م جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا ثم مكتب جمعية العلماء المسلمين في القاهرة سنة 1948م الذي استقبل فيه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي سنة 1952م، وقد صار عضواً في تنظيم حركة الإخوان المسلمين وكانت تربطه صلة وثيقة بـحسن البنا، ونظرًا لملكاته الخطابية وقدرته على الإقناع، وكان من تقدير الإمام البنا للورتلاني أنه كان ينوب عنه حين يكون غائبًا عن القاهرة في إلقاء حديث الثلاثاء بالمركز العام لجماعة الإخوان.

**3. رحلته الى اليمن:** امتد نشاط الورتلاني إلى مساندة الأحرار في اليمن، وكانت البلاد تموج بحركة معارضة قوية، ورغبة طموحة في الإصلاح والتغيير، وكان الإمام حسن البنا على علم بما يجري في اليمن، ومِن تطلُّع إلى الخروج بالبلاد من عزلتها وفقرها وجهلها، فأوفد الفضيل الورتلاني إلى هناك سنة  1947م،  نزل الفضيل الورتلاني اليمن ونجح في توحيد صفوف المعارضة، وإزالة الخلاف بينهم، وبدأ في تهيئة الناس للتغيير بخطبه الحماسية التي تلهب المشاعر وتوقد الحماسة في الصدور. وفي فيفري 1948م  نجحت المعارضة في الوصول إلى الحكم بعد إزاحة الإمام يحيى واتهم الورتلاني بالمشاركة في محاولة انقلابية في (اليمن) فقبض عليه هناك، ثم أفرج عنه مع من شملهم العفو، فغادر الورتلاني اليمن، وتنقل في عدة دول أوربية، ورفضت الدول العربية استقباله حتى وافقت لبنان على استقباله، شريطةَ أن يكون الأمر سرًا.

**4. العودة الى مصر:** بعد قيام حركة الجيش بالإطاحة بالملك فاروق، عاد الورتلاني إلى مصر بعد غياب عدة سنوات ، واستقبله العلماء والسياسيون استقبالاً حسنًا، نظرًا لماضيه المشرِّف في الجهاد وعاد الفضيل الورتلاني إلى جهاده، ومؤازرة الثورة الجزائرية التي انطلقت أول نوفمبر 1954 حيث نشر الورتلاني مقالاً بتاريخ 3 نوفمبر 1954م بعنوان: (إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر:اليوم حياة أو موت، بقاء أو فناء)، وبتاريخ 1954/11/15 م أصدر مع الشيخ البشير الإبراهيمي بياناً بعنوان : (نعيذكم بالله أن تتراجعوا) وبتاريخ 17/2/1955م شارك في تأسيس (جبهة تحرير الجزائر) التي تضم

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وممثلي (جبهة التحرير الوطني) أحمد بن بيلا وحسين آية أحمد، ومحمد خيضر، وبعض ممثلي الأحزاب الجزائرية.